ولإصابة هذه الحركة في نتائجها الواسعة دخل في روع بعض المؤرّخين أنّها تدبير من الحسين (رضي ا عنه)، توخّاه منذ اللحظة الأُولى وعلم موعد النصر فيه.. فلم يخامره الشكّ في مقتله ذلك العام، ولا في عاقبة هذه الفعلة التي ستحيق لا محالة بقاتليه بعد أعوام. فقال ماربين الألماني في كتابه (السياسة الإسلاميّة): « إنّ حركة الحسين في خروجه على يزيد إنّما كانت عزمة قلب كبير عزّ عليه الإذعان وعزّ عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته، ويحيي به قضيّة مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة ». فإن لم يكن رأي الكاتب حقّاً كلّه، فبعضه على الأقلّ حقٌّ لا شكّ فيه، ويصدق ذلك ـ في رأينا ـ على حركة الحسين بعد أن حيل بينه وبين الذهاب لوجهه الذي يرتضيه، فآثر الموت كيفما كان، ولم يجهل ما يحيق ببني أُميّة من جرّاء قتله.. فهو بالغ منهم بانتصارهم عليه ما لم يكن ليبلغه بالنجاة من وقعة كربلاء. * * * وقد جرى ذكر الموت على لسان الحسين من خطوته الأُولى وهو يتهيّأ للرحيل ويودّع أصحابه في الحجاز. فقال لهم: « إنّ الموت حقٌّ على ولد آدم »([372]). ولم يخف عليه أنّه يركب الخطّة التي لا يبالي راكبها ما يصيبه من ذلك القضاء.